

## من ملفات الشرطة

عندما يتفق الولد مع أصدقائه على أن يعاونوه في قتل والده،  
وعندما يجد الولد أن والده لم يمت بتأثير المخدر القوي الذي وضعه له،  
فيستعين بأصدقائه هؤلاء في الإجهاز على والده،  
فيجتمعون جميعاً، وتمتد أياديهم بجانب أيدي الابن لخنق الأب،  
وعندما يطلب الولد من أصدقائه مساعدته في حمل جثة  
والده والتخلص منها بإلقائها في صحراء على أطراف  
المدينة لتأكلها الوحوش والضواري.  
عندئذ تكون مثل هذه الجريمة هي جريمة آخر الزمان،  
وفي هذا العدد نقدم للقارئ الجريمة الأولى من جرائم آخر الزمان هذه.  
حيث أن هناك المزيد منها بين نزلاء عنبر الإعدام.

بمدينة الاسكندرية وفي ساعة متأخرة من الليل شق صنمت الليل وسكونه صرخات متوالية، اندفع على أثرها الطفل الصغير (أ) خلف أمه التي اندفعت من حجرة النوم إلى باب الشقة وحاولت فتح الباب والدم ينزف من رأسها، كان والد (أ) يتابع زوجته بالضرب المبرح، وهو في حالة سكر شديد، وقبل أن تستطيع الزوجة فتح باب الشقة لحق بها الزوج وانهاled عليها ضرباً وسط صراخها وصاح الطفل الصغير (أ) ولم ينقذ الأم من أيدي زوجها إلا كسر الجيران لباب الشقة والإسراع بإبعاد الزوجة، فيما كان الطفل يبكي بصوت عال، واصطحب الجيران الزوجة إلى شقة أحدهم، وعملوا على تهدئة الأمور وإسعاف الجروح في رأس الأم وأنفها، وأخيراً أحس الجيران بالطفل (أ) الذي كان يبحث عن والدته بين أقدام وسيقان طويلة أحاطت بأمه، واحتضنته أمه أخيراً وهي تهدئ من روعه وتقول له لا

تتعاون مع الدكتور عبدالله يا (أ).  
استمعت إلى السجين (أ) على مدار جلستين طويلتين، وكان صريحاً وصادقاً، حيث لم يرد في كلامه ما يتعارض مع ما جاء في ملف المحاكمة الذي كنت قد حصلت عليه قبل مقابلي له، ولا أنكر القارئ أنني حاولت أن أبدو طبيعياً طول مقابلاتي لهذا السجين، وكنت أغلب غضبي الشديد

كانت مقابلي الأولى مع (أ) في ١٦/١١/١٩٩٦م وهو فتى يافع في الحادية والعشرين من عمره، طويل القامة أبيض البشرة، جاء في أغلاله مع صول عنبر الإعدام وبحراسة سجانين آخرين، كانت الغرفة التي أجري فيها المقابلة صغيرة الحجم وهي حجرة يحيط بها عدد كبير من الأشجار الظليلة، ورحبت بالسجين، نظر دكتور يسري



د. عبدالله نام

## جريمة آخر الزمان

الذي انتابني في لحظات عديدة أثناء حديث السجين عن جريمته، ولعل القارئ يشعر أنني كنت على حق عندما يتابع معي وقائع هذه القضية التي أوجزها على النحو التالي:

أسرة تعيسة  
في أحد الأحياء الشعبية

إلى الصول قائلًا: اترك السجين يا صول، وأمر الحراس بالجلوس عند باب الغرفة حتى يترك لذلك السجين حرية التفكير والكلام، ثم قدمني الدكتور يسري للسجين، ولم يغادر الغرفة إلا بعد إحضار المثلجات، ثم نهض باسمًا وقال موجهًا كلامه للسجين: أرجو أن

أبشع جريمة  
في تاريخ  
البشرية



شيء يا (أ) لم يحدث شيء يا بني! كانت هذه المسألة تتكرر مرة على الأقل أسبوعياً كان الأب مدمناً ويتعاطى المواد المخدرة بكافة أشكالها، وسبق له دخول السجن مرتين في قضايا تعاطي، واعتداء، ولم يمتعه دخوله السجن من الاستمرار في التعاطي، كان يمتلك محل خردوات ملحوق بنفس البيت الذي يسكن به هو وزوجته وطفله الوحيد (أ) ورغم أن المحل كان دائماً يستولي على الإيراد لينفق على المخدرات، وكان يترك الأم لتدبير المحل وتقف فيه، أما هو فكان العمل الوحيد الذي يقوم به إحصار البضاعة في الموتوسيكل الذي يملكه والذي به صندوق ضخم يضع فيه البضائع التي يقوم بشرائها وإحضارها للمحل من تجارة الجملة بين الحين والحين.

لا يذكر (أ) عن والده إلا قسوته المتكررة وضربه المتكرر لأمه، ويقول (أ) : إنه رغم أن الأب قد كبر في السن ليصل إلى سن الخامسة والخمسين عند مقتله إلا أنه لم يكف ولم يتغير أبداً، فقد كان دائم القسوة والعنف لا يكتفي بضرب الأم فقط بل يضرب (أ) ، عند أقل خطأ يضربه بقسوة متناهية.

استمرت حال الأسرة على هذا المنوال وأنجبت الزوجة طفلة أخرى هي شقيقة (أ) قاسمت الأسرة هذا الجو الكئيب الذي لا يفتأ يتجدد على إثر قيام الأب بمطاردة الجميع وهو سكران لا يدري ما يفعل، أو حتى وهو يقظ وغير سكران عندما يطلب نقوداً لشراء المخدر وتمنع الأم.

وكبر (أ) ووصل إلى معهد السياحة والفنادق السنة الأولى بعد حصوله على الثانوية العامة.

الابن على طريق الأب بعد أن أنهى (أ) المرحلة الثانوية لم يحصل على المجموع الذي يؤهله للجامعة أو حتى المعاهد المتوسطة، ولم يجد أمامه إلا الالتحاق بمعهد خاص للسياحة والفنادق. وما أن التحق بهذا المعهد حتى تعرف على عدد من الزملاء الذين تمكنوا من إلحاقه بالعمل بأحد الفنادق الكبرى بالإسكندرية حيث تعرف على زميلين في العمل وأصبحا صديقي عمره يقضي معهما معظم وقته.

ولم يلبث (أ) أن عرف مع هؤلاء طريق المخدرات والأقراص المخدرة، التي اعتقد أنها جزء من العمل في مهنة البارمان التي كان يتوق إلى شغلها يوماً ما.

بدأ (أ) في تعاطي الحبوب المخدرة، كان يتعاطى كمية قليلة في البداية، إلا أن هذه الكمية ما لبثت أن ازدادت ثم عرف أنواعاً أخرى من المخدرات والخمور، ولكنه مع ذلك لم يكن ليترك نفسه يتعاطى لدرجة السكر البين، وكان يجد في تعاطيه لهذه المواد مع أصدقائه ما ينسيه ما يفعله أبوه وما كان يجده دائماً عند عودته إلى منزله، فالأم دائماً باكية أو شاكية أو مصابة والشقيقة صغيرة لا تملك سوى المواساة لوالدتها. ورغم صعوبة الحياة في هذه الأسرة إلا أنها كانت تسير، وكان محل الخردوات يدر دخلاً يكفي بالكاد طلبات

الزوج ومصروف البيت الذي كانت تقتنصه الأم اقتناصاً وتخفيه عن زوجها بكل السبل.

### ليلة الفصل

طرق الأب باب مسكنه في ساعة متأخرة من الليل وأسرعت الزوجة بفتح الباب كان الأب متهالاً وهذه ليست عادته وكان متنبهاً تماماً على عكس ما تعودت الأسرة، وصاح الأب طالباً العشاء وهو يقول لزوجته:

الأب : الحمد لله لقد وجدت مشترياً أخيراً.

وسالته الأم: مشتر ماذا لدينا لبيعه؟

فقال ضاحكاً: البيت يا امرأة، سنبيع هذا البيت.

وجن جنون الزوجة، أين تذهب إذا باع البيت ولماذا يريد زوجها النقود؟ وفيما ينفقهها سوى في المخدرات واشتراك الابن والابنة في محاولة إقناع الأب بالعدول عن فكرة بيع البيت، ولكن الأب كان قد اتخذ قراراً ببيع البيت ورفض تماماً أن يعدل عن هذا القرار، وتناول الأب طعامه وهو يادئ السرور ثم أوى أخيراً إلى فراشه.

وطوى (أ) الكتاب الذي كان يذاكر فيه دروسه حيث حدث ذلك قبل امتحانه بأيام قلائل في المعهد الخاص الذي انتظمت الدراسة فيه، وتكومت الأم على الأرض، فيما تظاهرت الابنة الصغيرة بالنوم، وساد الغرفة صمت عميق.. وأخيراً أطفأ (أ) نور الحجرة وتمدد على سريره، وهو يفكر بعق فيما يفعل. إنه يعرف أن والده لن يتراجع أبداً عن قراره فهذه خاصية عرفها عن والده عرفها عنه بعد سنوات شقاء معه، فقد اعتاد والده على عمل ما

يفكر فيه مهما عارضه الآخرون، وصاح داخله يا إلهي إنني أفكر في الزواج بهذا البيت وتزويج أختي بهذا البيت، وفي البيت مصدر رزقنا، وربما يتفق أبي مع المشتري على أن نتترك هذا البيت كلية، أين نذهب؟ وجاء القرار سريعاً، لا بد من التخلص من هذا الرجل، ولكن كيف؟ وجاء الرد سريعاً، لا بد من أن أستعين بزملائي بالفندق.

### الخطوة

في الليلة التالية التقى اسماعيل بصديقيه، وجلس الثلاثة بعد أن تناولوا الأقراص المخدرة، وأنشأوا احتساء البيرة قص (أ) عليهم كل شيء وطلب منهم الرأي ويقول (أ) إنه ما أن أنهى حكايته حتى صاح أحد صديقيه قائلاً: تخلص منه.. اقتله!.

ويقول (أ) لقد كنت مقتنعاً قبل أن يقول لي زميلي بقتله بضرورة التخلص منه، فرحبت بالفكرة وسألته عن الطريقة التي يمكن أن أتخلص بها منه، وأمسك الصديق بقرص ورفع يده.. بهذه الأقراص، بأقراص الاتيفان يا (أ) عليك أن تعطيه كمية كبيرة من هذه الأقراص فهي لا طعم لها ولا رائحة ثم إنك قلت أن والدك مدمن وهو لن يشعر بغرابة حين تضع له الاتيفان في الشاي مثلاً.

ويقول (أ) : وبلا تردد قبلت الفكرة واختمرت في ذهني في ثوان، فالدفاع لم يكن ينقصني ولكن كان ينقصني الوسيلة، وكنت مصمماً على قتله، وفي تلك



الليلة أصبح قرار التخلص من أبي نهائياً وطلبت من أصدقائي التخطيط معي والإشتراك في التنفيذ ووافقا. وكانت الخطة بسيطة للغاية، أذيب لأبي عدداً كبيراً من أقراص الاتيفان في الشاي الذي يتناوله صباحاً، وأعود في الثالثة بعد الظهر لأجده ميتاً، لأنه لن يتحمل هذه الكمية الكبيرة، وإذا كان ما زال حياً نتصرف حسب الموقف، واتفقت مع صديقي علي أن أقوم بتنفيذ الخطة في اليوم التالي مباشرة علي أن يحضرا إلى بيتي الساعة الرابعة بعد الظهر في ذلك اليوم ليساعداني في التخلص من الجثة، ومد إلي أحدهما يده بكيس صغير أفرغته في يدي كان به ثمانية أقراص اتيفان وسألته: أهذه كمية كافية، فرد بأنها كافية لقتل فيل، وافترق الأصدقاء الثلاثة علي وعد بلقاء في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التالي مباشرة بمنزل (أ).

#### مقتل الأب

تعمد (أ) أن ينهض من نومه في الساعة الحادية عشرة صباحاً وهو الموعد الذي ينهض فيه والده عادة من نومه، ومد يده ليظمن علي الكيس الصغير الذي وضع فيه مسحوق الأقراص الثمانية التي قام بدقها دقاً جيداً. وانتظر (أ) حتى أفرغت أمه الشاي بالأكواب، وقال لها دعيني أنا أضع السكر يا أمي، خرجت الأم متجهة إلى المطبخ فأسرع (أ) بإفراغ مسحوق الأقراص بكوب الشاي الخاص بوالده ثم أسرع به إلى حيث سريره في حالة استرخاء.

كان (أ) في غرفته يحتسي الشاي ويراقب والده وهو يرشف الشاي ساخناً، وأنهى الأب تناول الشاي وصاح (أ) بداخله، الحمد لله لم يتنبه لشيء! بعد أن تأكد (أ) من تناول والده لمسحوق الأقراص ارتدى ملابسه وخرج قاتلاً إنه ذاهب إلى المعهد.

في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر عاد (أ) إلى منزله، وهناك كانت والدته في المحل فأخبرته أن والده مريض ونائم، يقول (أ): وجدت أبي في غيبوبة تامة، فخرجت ووقفت أمام باب المنزل، ولم يلبث أن حضر صديقي فدخلنا علي أبي، وكان في غيبوبة ولكنه لم يمت فقد كان يتنفس. ولم يضع (أ) الوقت وقال لزميله فلنقتله ومد يده إلى رقبة أبيه وضغط عليها فيما ساعده صديقه، واستمر الثلاثة يضغطون علي عنق الأب ويمسكون بقدميه ويديه حتى سكنت أنفاسه تماماً، وتأكد أحدهم من موته بوضع إذنه علي قلبه، ثم قال: لقد مات. تمت الجريمة تماماً في حوالي الساعة الخامسة بعد الظهر أو قبلها بقليل، أغلق (أ) الحجرة علي جثة الأب وجلس هو وصديقه بجرة أخرى، وتناول الثلاثة الغداء وتناولوا الشاي وظل الثلاثة صامتين تقريباً إلا من كلمات نادرة، وفي الساعة التاسعة والنصف حضرت الأم ومعها ابنتها وسألت عن حال الأب، فنهض (أ) وأمسك بذراع أمه واقتادها إلى المطبخ وأخبرها بما فعله، ورغم ذهول الأم إلا أنها لم تصدر أي صوت أو حركة تدل علي الصدمة، بل

ظلت متماسكة ولم تنطق بحرف واحد، ودخلت هي وابنتها الغرفة الثالثة الموجودة بالمسكن وأغلقت عليها الباب ولم تخرج منه أبداً إلا بعد إخراج الجثة من البيت في منتصف الليل.

ظل إسماعيل وصديقه بالمنزل حتى منتصف الليل، وهنا نهض أحد الصديقين قائلاً: ما ترتيياتك يا (أ)؟ قال (أ) ببساطة الخبير المعد للأمر: موتوسيكل أبي أمام الباب، وهو موتوسيكل له صندوق كبير كما قلت لكما، فقط سأخرج لأجهز لكم الطريق.

خرج (أ) لمدة دقائق من الشقة ثم عاد وقال لهما هيا لغاه في بطانية واتبعاني، وتبعاه وهما يحملان الجثة، كان الموتوسيكل أمام باب البيت تماماً وأسرع (أ) بفتح الصندوق وألقيا بالجثة داخل الصندوق وأغلق (أ) باب الصندوق. وسرعان ما كان من (أ) ومعه أحد صديقيه يركبان الموتوسيكل وينطلقان إلى حيث ظنا ألا يراها أحد، انطلقا إلى منطقة خالية علي حدود مدينة الاسكندرية، خلف مستشفى للأمراض العقلية التي تقع بمنطقة خالية تماماً من البيوت والسكان.. توقف الموتوسيكل ونظرا حولهما وقال (أ) لصديقه: لا أرى أحداً هيا نخرجه بسرعة. أسرع (أ) وصديقه بحمل الجثة وألقياها بسرعة وأسرعاً منطلقين نحو المدينة.

#### اكتشاف الجريمة

في اليوم التالي وفي الساعة الثالثة بعد الظهر تم اكتشاف الجثة، كانت الجثة

ملقاة بحيث تكسوها بعض الشجيرات الصغيرة المجاورة لمبنى المستشفى ولكن أحد العاملين بالمستشفى اكتشف الجثة، وتم إبلاغ الشرطة، ولم يجد المحققون شيئاً يوصلهم إلى القتلة، كان (أ) قد استولى علي جميع المستندات الدالة علي اسم والده، فأخذ البطاقة العائلية وجميع الأوراق من طيات ملابس والده، وألقاه جثة بلا أي أوراق أو مستندات حتى لا يتم التوصل إلى شخصيته. وبدأ رجال الشرطة في سؤال المحيطين بموقع اكتشاف الجثة، ولم يتقدم أحد بما يفيد التحقيق، وانتزع المحقق خاتم الزواج الذي كان بيد القتيل وقرأ علي هذا الخاتم اسم (محمد) واسم زوجته (هانم) حيث اعتاد الناس علي كتاب اسم العريس والعروسة علي خاتم الزواج.

ولكن ماذا يفيد اسم (محمد) حقاً إنه أثبت أن صاحب الجثة اسمه محمد ولكن ذلك لم يقدم أي إمكانية للوصول للقتلة، فاسم محمد واسع الانتشار في مصر كلها، وكادت القضية تحفظ ضد مجهول ولكن في صباح اليوم التالي دق جرس الهاتف بمكتب المحقق، لقد كان المتحدث هو ضابط المباحث الذي أبلغ المحقق بأنه ثمة ضوء في قضية جثة المعمورة، وهو الاسم الذي كان يطلق علي هذه القضية في الصحف. ما إن تلقى المحقق المكالمة حتى أسرع بالتوجه إلى المستشفى واستقبله مدير المستشفى وضابط المباحث الذي كان يجلس بمكتب المدير، وقال المدير للمحقق: إن هناك





رجل أمن يعمل بالمستشفى لديه ما يقوله لسيداتك.

وحضر شخص طويل القامة نحيف نسبياً وجلس إلى المحقق وسأله المحقق عما رآه، فقال له: شاهدت في تلك الليلة موتوسيكل بصندوق خشبي كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تقريباً وقد وقف خلف المستشفى. وخفت أن يكون له علاقة بالمستشفى أو بأحد المرضى واقتربت من السور ونظرت إليه من بين الأشجار عبر السور الحديدي، وظل الموتوسيكل واقفاً فترة ولكن لم يلبث أن انطلق مسرعاً. وسأله المحقق: ألم تلاحظ إلقاء الجثة؟ فقال الحارس: لا لقد كانت المساحة المتاحة لي لا تسمح سوى برؤية أنه موتوسيكل بصندوق وكان الظلام لا يسمح لي برؤية المزيد، وقد اعتقدت أن ثمة عطل حدث بالموتوسيكل قاما بإصلاحه وانطلقا، ولكنني أعتقد أنني لاحظت شخصان على الموتوسيكل قاما بإصلاحه وانطلقا، ولكنني أعتقد أنني لاحظت شخصين على الموتوسيكل عندما انطلق ميتعداً.

قال المحقق: لماذا لم تتقدم بهذه المعلومة من قبل؟

قال الحارس: لم أكن لأعتقد أن لها أية علاقة بالقضية، ولكن عندما حضر ضابط المباحث وأبلغنا بأن أية معلومة لم يمكن أن تساعد في كشف القاتل، ذكرت له ما رأيت فاستدعى سيدتك.

كانت المعلومة الجديدة هامة، ولكنها لم تكن لتقود أو تشير إلى القاتل بالذات، وبعد دراسة بين ضابط المباحث والمحقق شرع كلاهما في بناء خطة دقيقة وسارت هذه الخطة في خطوات محددة.

كانت الخطوة الأولى هي حصر عدد الموتوسيكلات ذات الصندوق في كل مدينة الإسكندرية من خلال إدارة المرور بالمدينة وحصر عدد أسماء الأشخاص الذين يحملون اسم محمد من بين هؤلاء الأشخاص، وجاءت النتيجة مشجعة حيث جاء البيان بأن في الإسكندرية تسع رخص فقط منحتها إدارة المرور لأشخاص يحملون اسم محمد لامتلاكهم الموتوسيكلات بصندوق وما إن توافرت هذه المعلومة حتى بدأت الخطوة التالية:

تم الرجوع إلى هذه الملفات التسعة الخاصة بمن يحملون اسم محمد ممن منح

لهم ترخيص بموتوسيكلات ذات صندوق وتم بذلك تحديد عناوين هؤلاء الأشخاص التسعة الذين منحت لهم هذه الرخص.

قام رجال المباحث بعمل تحريات حول هؤلاء الأشخاص التسعة الممنوحة لهم هذه الرخص وتبين من التحريات أن هناك ستة من هؤلاء موجودون مع أسرهم، وأن اثنين منهم متوفيان منذ فترة طويلة، وأن واحداً منهم متغيب عن بيته ولا يعرف مكانه. وركز المحقق على الأخير بالطبع، وجاءت نتيجة التحريات لتؤكد أن هذا الشخص الغائب معروف عنه سوء علاقته بأسرته وأنه كان دائم التشاجر مع زوجته وابنه وكثيراً ما كان يضرب زوجته، وأن الابن يحب والدته كثيراً بدليل وقوفه دائماً معها ضد والده، كما أن هذا الابن غائب عن البيت أيضاً. وانحصر الاتهام في الابن الغائب وتم وضع مراقبة على البيت.

#### الابن يعود ويعترف

يقول (أ): بعد أن قتلنا أبي وأقينا به بجوار المستشفى، تركت البيت في اليوم التالي وذهبت لأقيم عند أحد أصدقائي الذين شاركوني في تنفيذ الجريمة ومر أسبوع لم يتم فيه ظهور أي شيء، وبدأت امتحاناتي بالمعهد، ولأسف كنت قد نسيت أحد الكتب المقررة بالبيت عند تركي له رغم أخذ كل الكتب الأخرى، وعندما مر الأسبوع أحسست بالطمأنينة وقررت الرجوع إلى البيت لأخذ الكتاب، وهناك تم إلقاء القبض علي، ويقول (أ) عندما ألقى القبض علي لم

يكن هناك دليل حقيقي ضدي بالذات، لنك المحقق لجا إلى ما جعلني أعترف، فلقد دخل إلى من نقطة ضعفي حيث قال لي: أنا أعلم أن والدك كان رجلاً مدمناً وكان رجلاً يستحق ما جرى له، وأن عندك أسبابك لقتله، إلا أنني أنكرت التهمة تماماً، وهنا قال لي الضابط: عموماً لقد عرفنا شركائك فقد كان معك شخصان عندما ألقىت بالجنة وبالتأكيد هما أمك وأختك، ولذا سنلقي القبض عليهما الآن وسنحقق معهما.

والتقت عينا (أ) بعين والدته ورجال الشرطة يسحبانها هي وشقيقته الصغيرة، ويقول (أ) لم أستطع تحمل تعرض أمي للتحقيق فاعترفت فوراً بكل التفاصيل، وعلمت بعد ذلك أن المحقق قد دخل إلي من حيث لا أحتمل، فقد علم أنني أحب أمي حباً شديداً، فضغط علي باتهامها ووجدتني أنظر إلى (أ) وينساب صوتي دون تفكير وكأنني كنت أفكر بصوت مسموع قلت له: يا إلهي كل هذا الحب لأمك وكل هذا الكره لأبيك كيف يا أخي.. واستوضحني ما أقول.. إذ يبدو أنني قد قلت هذه الجملة بصوت خفيض. ونظرت إليه بهدوء وقلت له لا شيء يا (أ) لا شيء!..

وعدت إلى الأوراق لأجد أن المحكمة قد حكمت في مطلع عام ١٩٩٥م (١٢/١) على (أ) والسجن المؤبد لرفيقه ولم يتورع القاضي إلى الإشارة أنه لو كان أمامه حكم أكثر ما تردد لحظة في إصداره ضد قاتل أبيه. □